بَهجة الطُّلَب

في آدابِ الطَّلَبْ

تصنيفُ
صالح بن عبد الله بن حمد العُصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، فبحمده اكتفى مِن عباده مَن اكتفى، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وِدُّ أهل التَّوحيد والصَّفا، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله المصطفى.

أمَّا بعد:

فإنَّ مَلذَّاتِ الأفهام من لذائذ القصائد والأنظام؛ هي بدائع الأراجيز، ومن محفوظها أُرجوزةٌ أوردها أبو عمرَ ابنُ عبد البرِّ في «جامع بيان العلم وفضله»[1]، عُزِيت إلى الحسنِ بن زيادٍ اللُّؤلؤيِّ الفقيهِ، وعُزِيت أيضًا إلى المأمونِ الخليفةِ العبَّاسيِّ، ولم يُعرف قائلها تحقيقًا، تشتمل على معانٍ نفيسةٍ في هَدي الطَّلب، وفيها قَبضةٌ حسنةٌ من مغاني الأدب، حَمَلَتني على إفرادها مع مقدِّمةٍ وخاتمةٍ، ميَّزتُهما بالتَّحبير، وسميتُها «بَهجة الطُّلَب في آدابِ الطَّلَب»؛ ليعظُمَ الانتفاع بها، ويُقبِل عليها أهلُها وخُطَّابها، ومن ورد الحِياض فاز بالانتهاض.

---

(١) ١/ ٢٩٢-٢٩٣.

وهي هذه مع زياداتها:

الـحَـمْـدُ للهِ لَـهُ الإحْـكَـامُ
ثُـمَّ الـصَّـلاةُ بَـعْـدُ وَالـسَّـلامُ

عَـلَـى مُـحـمَّـدٍ رَسُـولِ اللهِ
وَآلِـهِ طُـرًّا بِـلا تَـنَـاهِـي

وَبـعْـدُ ذِي أُرْجُـوزَةٌ جَـدِيْـرَهْ
بِـالـحِـفْـظِ وَالإدْرَاكِ بِـالـبَـصِـيْـرَهْ

لِـلـؤْلُـؤِيْ تُـعْـزَى أَوِ الـمَـأمُـونِ
وَنَـصُّـهَـا الـمَـجْـلِـيُّ لِـلْـعُـيـونِ

اِعْـلَـمْ بِـأَنَّ الـعِـلْـمَ بِـالـتَّـعَـلُّـمِ
وَالـحِـفْـظِ وَالإِتْـقَـانِ وَالـتَّـفَـهُّـمِ

وَالـعِـلْـمُ قَـدْ يُـرْزَقُـهُ الـصَّـغِـيْـرُ
فِـي سِـنِّـهِ وَيُـحْـرَمُ الـكَـبِـيْـرُ

فَـإِنَّـمَـا الْـمَـرْءُ بِـأَصْـغَـرَيْـهِ
لَـيْـسَ بِـرِجْـلَـيْـهِ وَلَا يَـدَيْـهِ

لِـسَـانِـهِ وَقَـلْـبِـهِ الْـمُـرَكَّـبْ
فِـيْ صَـدْرِهِ وَذَاكَ خَـلْـقٌ عَـجَّـبْ

وَالـعِـلْـمُ بِـالـفَـهْـمِ وَبِـالْـمُـذَاكَـرَةْ
وَالـدَّرْسِ وَالـفِـكْـرَةِ وَالْـمُـنَـاظَـرَةْ

فَـرُبَّ إِنْـسَـانٍ يَـنَـالُ الـحِـفْـظَـا
وَيُـوْرِدُ الـنَّـصَّ وَيَـحْـكِـي الـلَّـفْـظَـا

وَمَـا لَـهُ فِـيْ غَـيْـرِهِ نَـصِـيْـبُ
مِـمَّـا حَـوَاهُ الْـعَـالِـمُ الأَدِيْـبُ

وَرُبَّ ذِيْ حِـرْصٍ شَـدِيْـدِ الـحُـبِّ
لِـلْـعِـلْـمِ وَالـذِّكْـرِ بَـلِـيْـدِ الـقَـلْـبِ

مُـعَـجَّـزٍ فِـيْ الـحِـفْـظِ وَالـرِّوَايَـهْ
لَـيْـسَـتْ لَـهُ عَـمَّـنْ رَوَى حِـكَـايَـهْ

وَآخَـرٌ يُـعْـطَـى بِـلَا اجْـتِـهَـادِ
حِـفْـظًـا لِـمَـا قَـدْ جَـاءَ فِـيْ الإِسْـنَـادِ

يُـفِـيْـدُهُ بِـالْـقَـلْـبِ لَا بِـنَـاظِـرِهْ
لَـيْـسَ بِـمُـضْـطَـرٍّ إِلَـى قَـمَـاطِـرِهْ[1]

فَـالْـتَـمِسِ الـعِـلْـمَ وَأَجْـمِـلْ فِـيْ الـطَّـلَـبْ
وَالْـعِـلْـمُ لَا يَـحْـصُـلُ إِلَّا بِـالْأَدَبْ

---

(١) القَمَاطِر جمع قِمَطْرٍ، وهو وعاءٌ تُحفظ فيه الكتب.

الأَدَبُ الـنَّـافِـعُ: حُـسْـنُ الـصَّـمْـتِ
فَـفِـيْ كَـثِـيْـرِ الـقَـوْلِ بَـعْـضُ الْـمَـقْـتِ[1]

فَـكُـنْ لِـحُـسْـنِ الـصَّـمْـتِ مَـا حَـيِـيْـتَـا
مُـقَـارِنًـا تُـحْـمَـدُ مَـا بَـقِـيْـتَـا

وَإِنْ بَـدَتْ بَـيْـنَ أُنَـاسٍ مَـسْـأَلَـهْ
مَـعْـرُوْفَـةٌ فِـيْ الـعِـلْـمِ أَوْ مُـفْـتَـعَـلَـهْ

فَـلَا تَـكُـنْ إِلَـى الْـجَـوَابِ سَـابِـقـا
حَـتَّـى تَـرَى غَـيْـرَكَ فِـيْـهِ نَـاطِـقَـا

فَـكَـمْ رَأَيْـتُ مِـنْ عَـجُـوْلٍ سَـابِـقِ
مِـنْ غَـيْـرِ فَـهْـمٍ بِـالْـخَـطَـاءِ[2] نَـاطِـقِ

أَزْرَى بِـهِ ذَلِـكَ فِـيْ الْـمَـجَـالِـسِ
بَـيْـنَ ذَوِيْ الأَلْـبَـابِ وَالـتَّـنَـافُـسِ

الـصَّـمْـتُ فَـاعْـلَـمْ بِـكَ حَـقًّـا أَزْيَـنُ
إِنْ لَـمْ يَـكُـنْ عِـنْـدَكَ عِـلْـمٌ مُـتْـقَـنُ

وَقُـلْ إِذَا أَعْـيَـاكَ ذَاكَ الأَمْـرُ
مَـا لِـيْ بِـمَـا تَـسْـأَلُ عَـنْـهُ خُـبْـرُ

---

(١) المَقت: البُغض.
(٢) الخطاء: لغةٌ في الخطأ.

فَذَاكَ شَطْرُ العِلْمِ[1] عِنْدَ العُلَمَا
كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُوْلُ الْحُكَمَا

إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ بِفَضْلِ رَأْيِكَ
وَاحْذَرْ جَوَابَ القَوْلِ مِنْ خِطَابِكَ

كَمْ مِنْ جَوَابٍ أَعْقَبَ النَّدَامَهْ
فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلَامَهْ

العِلْمُ بَحْرٌ مُنْتَهَاهُ يَبْعُدُ
لَيْسَ لَهُ حَدٌّ إِلَيْهِ يُقْصَدُ

وَلَيْسَ كُلُّ العِلْمِ قَدْ حَوَيْتَهُ
أَجَلْ وَلَا العُشْرُ وَلَوْ أَحْصَيْتَهُ

وَمَا بَقِيْ عَلَيْكَ مِنْهُ أَكْثَرُ
مِمَّا عَلِمْتَ وَالْجَوَادُ يَعْثُرُ

فَكُنْ لِمَا عَلِمْتَهُ مُسْتَفْهِمَا
إِنْ كُنْتَ لَا تَفْهَمُ مِنْهُ الكَلِمَا

القَوْلُ قَوْلَانِ فَقَوْلٌ تَعْلَمُهْ
وَآخَرٌ تَسْمَعُهُ فَتَجْهَلُهْ

---

(١) الشَّطر: النِّصف، والمشار إليه في البيتين هو قول (لا أدري).

وَكُـــلُّ قَـــوْلٍ فَـــلَـــهُ جَـــوَابُ
يَـجْـمَـعُـهُ الـبَـاطِـلُ وَالـصَّـوَابُ

وَلِـــلْـــكَـــلَامِ أَوَّلٌ وَآخِـــرُ
فَـافْـهَـمْـهُـمَـا وَالـذِّهْـنُ مِـنْـكَ حَـاضِـرُ

لَا تَـــدْفَـــعِ الـــقَـــوْلَ وَلَا تَـــرُدَّهُ
حَـتَّـى يُـؤَدِّيْـكَ إِلَـى مَـا بَـعْـدَهُ

فَـرُبَّـمَـا أَعْـيَـا ذَوِيْ الـفَـضَـائِـلِ
جَـوَابُ مَـا يُـلْـقَـى مِـنَ الْـمَـسَـائِـلِ

فَـيُـمْـسِـكُـوا بِـالـصَّـمْـتِ عَـنْ جَـوَابِـهِ
عِـنْـدَ اعْـتِـرَاضِ الـشَّـكِّ فِـيْ صَـوَابِـهِ

وَلَـوْ يَـكُـوْنُ الـقَـوْلُ عِـنْـدَ الـنَّـاسِ
مِـنْ فِـضَّـةٍ بَـيْـضَـا بِـلَا الْـتِـبَـاسِ

إِذًا لَـكَـانَ الـصَّـمْـتُ مِـنْ عَـيْـنِ الـذَّهَـبْ
فَـافْـهَـمْ هَـدَاكَ اللهُ آدابَ الـطَّـلَـبْ

أَبْـيَـاتُـهَـا مَـعَ الـزِّيَـادَاتِ الَّـتِـي
حَـبَّـرتُـهَـا بِـأَرْبَـعِـيْـنَ عُـدَّتِ